مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠١٠/٤٧

الأحد ٢١ تشرين الثاني

عيد دخول سيدتنا والدة الإله

الفائقة القداسة إلى الهيكل

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الرابع

الرسالة

(عبرانيين ٩: ١-٧)

يا إخوةُ إنَّ العهدَ الأولَ كانت له أيضاً فرائضُ العبادةِ والقدسُ العالميُّ* لأنَّه نُصِبَ المسكِنُ الأوَّلُ الذي يُقالُ له القدسُ وكانت فيه المنارةُ والمائدةُ وخبزُ التقدِمةِ* وكان وراءَ الحجابِ الثاني المسكِنُ الذي يقالُ له قُدسُ الأقداسِ* وفيه مستوقَدُ البخورِ من الذهبِ وتابوتُ العهدِ المغشَّى بالذهبِ من كلِّ جهةٍ فيه قِسطُ المنِّ من الذهبِ وعصا هرونَ التي أفرخَتْ ولَوحا العهدِ* ومن فوقِه كاروبا المجدِ المظلِّلان الغطاءِ. وليس هنا مَقامُ الكلامِ في ذلك تفصيلاً* وحيثُ كان ذلك مُهيَّأً هكذا فالكهنةُ يدخلون إلى المسكِنِ الأولِ كلَّ حينٍ فيُتمُّون الخِدمةَ* وأمَّا الثاني فإنَّما يدخلُه رئيسُ الكهنةِ وحدَهُ مرَّةً في السنةِ ليس بلا دمٍ يقرِّبه عن نفسه وعن جهالاتِ الشعب.

عيد دخول السيدة والدة الإله إلى الهيكل

تكتنف سيرة سيدتنا والدة الإله من طفوليتها إلى ساعة رقادها المجيد هالة من السرية. مثال على ذلك دخولها إلى الهيكل وإقامتها في قدس الأقداس الذي هو سر من أسرار تدبير الله الخلاصي وعنايته الفائقة.

يقول القديس إيرونيموس (St. Jerome): «إن سألني أحدهم كيف قضت الكلية القداسة زمان حداثتها، لأجبته أن الأمر يختص بمعرفة الله نفسه ورئيس الملائكة جبرائيل، حارسها الدائم».

نجد في تقليد الكنيسة الشريف روايات تخبر أن العذراء الكلية النقاوة، خلال إقامتها في الهيكل صحبت العذارى الورعات، وطالعت الأسفار المقدسة، مجتهدة في العمل اليدوي، مصلّية على الدوام، ونامية في محبّة الله.

منذ تاريخها القديم كانت الكنيسة تحتفل بعيد دخول الفائقة القداسة إلى الهيكل. والإشارات التاريخية إلى التعييد لهذا الحدث المبارك منذ القرون الأولى وافرة في تقليد الجماعات المسيحية في فلسطين، الذي يخبرنا أن الإمبراطورة القديسة هيلانة بَنَت كنيسة لإكرام دخول السيدة إلى الهيكل.

القديس غريغوريوس النيصصي، في القرن الرابع، يذكر العيد. كذلك القديسان جرمانوس وطاراسيوس بطريركا القسطنطينية في القرن الثامن قد تركا لنا عظات عن دخول العذراء إلى الهيكل.

فإن جدّي المسيح الإله القديسين يواكيم وحنّة حين صلّيا ليفتقد الله حالهما ويوقف عقرهما، نذرا أن يكرّسا ولدهما لخدمة الله في حال تحنّن الله عليهما ورزقهما ثمر البطن.

ولما بلغت الدائمة البتولية سن الثالثة، أراد والداها التقيان أن يفيا بنذرهما. فجمعا الأقرباء والأصدقاء وألبسوا العذراء أفضل لباس، ثم رافقها عدد من العذارى اللواتي يحملن الشموع المضاءة (مز ٤٥: ١٤-١٥) إلى باحة الهيكل حيث استقبلها رئيس الكهنة مع بعض الكهنة. فكان أن صعدت درجات المدخل الخمس عشرة، ثم إن رئيس الكهنة، بإلهام من الله، اقتاد الفتاة القديسة إلى قدس الأقداس، حيث لا

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٣٨–٤٢؛ ١١: ٢٧ و٢٨)

في ذلك الزمان دخلَ يسوعُ قريةً فقبلَتْهُ إمرأةٌ اسمُها مرتا في بيتها* وكانت لهذه أختٌ تُسمَّى مريم. فجلستْ هذه عند قدمَيْ يسوعَ تسمعُ كلامَهُ* وكانت مرتا مرتبكةً في خدمةٍ كثيرة. فوقفت وقالت يا ربُّ أمَا يعنيكَ أنَّ أختي قد تركتني أخدُمُ وحدي. فقُلْ لها تساعدُني* فأجاب يسوعُ وقال لها مرتا مرتا إنَّكِ مهتمَّةٌ ومضطربةٌ بأمورٍ كثيرةٍ وإنَّما الحاجةُ إلى واحدٍ. فاختارتْ مريمُ النصيبَ الصالحَ الذي لا يُنزَعُ منها* وفيما هو يتكلَّمُ بهذا رفعتِ امرأةٌ من الجمعِ صوتَها وقالت لهُ طوبى للبطنِ الذي حملَكَ والثدْيَيْنِ اللذينِ رضعتَهما* فقال بل طوبى للذين يسمعونَ كلمةَ اللهِ ويحفظونَها.

تأمل

الشجرة الحسنة إنّما تُعرف من ثمرها، فكيف لا تكون والدةُ الصلاح ومولّدة الحُسن الأزليّ إذاً أرفع شأناً بصلاحها من كل ما في العالم وممّا فوق العالم؟ ذلك لأنّ القوّة التي صنعت كلّ شيء، أيقونة يدخل إلاّ رئيس الكهنة مرّة في السنة ليقدّم ذبيحة تنقية. وقد انذهل سائر الحاضرين في الهيكل لحدوث أمر كهذا غير معتادٍ البتة.

بعد أن أودع يواكيم وحنّة الله ابنتهما، عادا إلى بيتهما. أما العذراء الكلية القداسة فقد اقامت في جناح العذارى المتاخم للهيكل. وبناءً على شهادة الكتاب المقدس (خـر ٣٨: ٩–٢١ ، لـو ٢: ٣٧)، والمؤرّخ يوسيفوس فلافيوس، كانت تحيط بالهيكل أبنية يسكن فيها مَن كانوا مكرّسين لخدمة الله.

عيد دخول السيدة إلى الهيكل غني في معانيه. هو اكتمال التهيئة لمجيء المخلّص إلى الأرض. هو خطوة نحو تحقيق الخلاص الذي طالما انتظره الأبرار في العهد القديم ودفعهم إلى الجهاد والتضحية والطاعة لوصايا الله. «هؤلاء كلّهم، مشهوداً لهم بالبر»... «لم ينالوا المواعد، بل من بعيدٍ نظروها وصدّقوها وحيوها وأقرّوا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض» (عب ١١) لذا كانت السيدة إناء الروح القدس المصطفى والهيكل المكرّس من صغر سنها لسكنى الإله بين البشر وظهور مجده.

يشير القديس غريغوريوس بالاماس إلى أن السيدة «عبر الصلاة والإستعداد الروحي أعلنت للملاك: هاءنذا أمة للرب، ليكن لي بحسب قولك» (لو ١: ٣٨).

والقديس غريغوريوس يوضح أيضاً أنها «إذ امتلأت بالمواهب الإلهية في سن مبكّرة... هي، وليس غيرها، حددت طوعاً ما كان يحصل لها. بطريقتها أظهرت أنها لم تُقدَّم إلى الهيكل، بل هي نفسها ولجت إلى خدمة الله برضاها، كما لو كان لها جناحان، مجتهدين في التحليق إلى هذا الحب الإلهي المقدّس. هي ارتأت أنه يليق ويلائم أن تدخل إلى الهيكل وتقيم في قدس الأقداس... فكان الله، عبر ملاكه، يخدمها ويرسل لها طعاماً سريًّا، قوّاها بالطبيعة، بينما بالجسد بلغت النضوج وجُعلت أنقى وأسمى من الملائكة، إذ اتخذت الأرواح السماوية خدّاماً لها».

العيد اليوم تذكير لنا أن كل مَن يتنقى بالجسد يصير هيكلاً مكرَّساً لله ومسكناً لمجده، بشفاعات السيدة والدة الإله التي تدعونا لنقيم في نور ابنها الوحيد.

جوّ العيد

مع عيد دخول السيدة إلى الهيكل، في ٢١ تشرين الثاني، نبدأ فعلياً في فترة التهيئة لاستقبال عيد ميلاد الرب يسوع حيث نبتدئ من صبيحة هذا العيد بترتيل كاطافسيات الميلاد (المسيح وُلد فمجدوه) وقد كنا بدأنا صوماً يمتد لأربعين يوماً منذ الخامس عشر من تشرين الثاني.

لطالما كان منطق الكنيسة في التحضير للأعياد المهمة والكبيرة غير منطق البشر. فإنّ الكنيسة تهيئنا بالأصوام والصلوات لاستقبال الأعياد على مثال عيد ميلاد ربّنا أو عيد الفصح المجيد وغيرهما، إلاّ أنّنا نحن نتهيّأ من خلال شراء المأكولات والهدايا والزينة وغير ذلك من الأمور التي نظن أنّها هي التي ستجعلنا نشعر بـ«جو العيد».

صوم الميلاد هو أحد الأصوام المهمة في الكنيسة وهو يسبق عيد ميلاد ربنا وسيّدنا يسوع المسيح بالجسد ليهيّئنا لاستقبال هذا العيد الكبير بشوق وابتهاج.

الصلاح الأزليّة والكلمة الكائن قبل الأزل الفائق الجوهر والفائق الصلاح، قد شاء في محبّته للبشر التي لا توصف ورأفةً بنا أن يلبس صورتنا، ليعيدَ طبيعتنا التي نزلت إلى أعماق الجحيم ويجدّدها بعد أن عتقت، وبصعدَها إلى علوّ ملكوته وألوهيته الذي يفوق السموات. شاء أن يتّحد إذاً بطبيعتنا بحسب الأقنوم وكان محتاجاً من ثم إلى جبلة جسدية وإلى بشرةٍ جديدة تكون في الوقت عينه بشرتنا نحن لكي يجدّدنا، ولذلك كان محتاجاً إلى حَبَل شبيه بحبلنا، وإلى ولادةٍ شبيهة بولادتنا، وإلى تغذية بعد الولادة وتصرّف يتناسب وإيّانا، صائراً بالتالي على شبهنا لأجلنا.

وهكذا وجد له أَمَةً ملائمةً هي العذراءُ الدائمة البتولية مريم لتمنحه من نفسها طبيعةً لم يلحق بها دنسٌ، وهي التي نسبّحها اليوم مقيمين تذكار دخولها العجيب إلى قدس الأقداس، إذ سبق الله فعيّنها من قبل الدهور لأجل خلاص جنسنا وإعادته، مختاراً إيّاها من بين جميع المختارين المشهود لهم بالتقوى والحكمة والأخلاق الحسنة قولاً وفعلاً.

وأما نحن فإذ نفهم معنى الخلاص الذي يتهيّأ يندهش معظم المسيحيين الأرثوذكسيين عند سماعهم أنّ هناك صوماً يسبق عيد الميلاد، لأنّه «غير معروف» منهم. إلاّ أنّ عدم المعرفة لا ينفي صفة الأهميّة عن هذا الصوم أو سواه. فعيد الميلاد معروفٌ بشرياً بأنّه عيد تبادل الهدايا وعيد تزيين الأشجار والبيوت والافتخار بنوع الزينة وثمنها. كما أنّه، عند الذين لا يعرفون معنى العيد الحقيقي، عيد الطعام بأشكاله وألوانه وموائده الممدودة إضافةً إلى كونه عيد حضور الحفلات الفنيّة التي متى حضروها يصبحون ممتلئين فرحاً لا يوصف بمشاهدة هذا الفنان أو ذاك أو بالرقص في هذه الحانة أو تلك من الحانات التي تتبارى في زيادة تعرفة الدخول إليها «بمناسبة عيد الميلاد» الأمر الذي يجعل بعض الناس يتهافتون إلى الأماكن الأغلى لكي يرضوا أنفسهم قائلين إن «العيد لا يأتي إلاّ مرّةً في السنة فلماذا نبخل على نفوسنا؟».

كل الأمور التي ذكرناها وغيرها من التي لا يمكننا ذكرها والتي تحصل أيضاً بمناسبة العيد يفعلها بعض المسيحيين لأنّها تضفي على العيد جوًّا مميّزاً برأيهم. لكن مَن هو صاحب العيد، المسيح أم نحن؟ هل يقوم أصدقاؤنا بحضور الحفلات ليحتفلوا بعيد ميلادنا من دون أن نكون نحن أصحاب العيد موجودين؟ هل يزيّنون بيوتهم ويولِمون بمناسبة ذكرى ميلادنا من دون أن يدعونا؟ بالحقيقة هذا ما يحدث تماماً مع المسيح. فنلاحظ كيف تزدحم الطرق والمحال التجارية بمن يهرعون لشراء الزينة والأطعمة التي تتنوّع شكلاً ومضموناً وسعراً، ويُقنع الناس أنفسهم بأنّهم يريدون استقبال المسيح بأبهى الحلل، إلاّ أنّ الحقيقة هي غير ذلك؛ فإذا زيّن جاري منزله أسرع إلى السوق لأشتري زينة أفضل من زينته لأكون أنا المميّز وليس المسيح. إنها حفلة عيد ميلاد المسيح، ولكن المسيح غائب بالكلية عن هذا الحفل.

لقد شدّد آباؤنا القديسون على موضوع الصوم وأهميّته، إضافةً إلى موضوع طرح الاهتمامات الدنيوية (على حسب ما نسمع في التسبيح الشاروبيمي خلال القداس الإلهي). «جو العيد» بالنسبة إلى الكنيسة نشعر به من خلال الصلاة والصوم اللذين نستعدّ بواسطتهما لاستقبال الحدث المهم. لكنّ فرحة العيد تكتمل بفرح مَن حولنا، أي إنّه علينا أن نقرن بين الصلاة والصوم وأعمال الرحمة. فكم من مرّة نسمع يوميًّا عن مرضى ومُتعبين وفقراء وأرامل وأيتام يحتاجون المساعدة ونحن لا نقوم بشيء لنساعدهم بل ننهمك في الأمور المادية؟ لقد أخبرنا الرب عن لعازر الذي ترأفت عليه الكلاب لاحسةً قروحه، في حين أنّ الغنيّ كان يتنعّم بالملبس والمأكل والمشرب، ورأينا كيف كانت نهاية لعازر وعاقبة أفعال الغنيّ (لو ١٦: ١٩–٣١). للأسف، نجد الكنائس خالية من الناس (وبخاصة فئة الشباب) في عيدَي الميلاد وختانة الرب (رأس السنة) وذلك بسبب ساعات السهر التي يقضونها بالمأكل والمشرب والرقص. المسيح في أيامنا هذه يأتي في مرتبة متأخرة، هذا إذا تذكّرناه خارج الأوقات العصيبة، كما أنّ الصلاة لم تعد تناسب الشباب بل هي لِمَن تقدّم بهم العمر وينتظرون مجيء ساعتهم الأخيرة. في

عن طريقها فنقدّم لها الشكر والتسبيح كله. هكذا حين سمعت المرأة المذكورة في الإنجيل الأقوال الخلاصيّة طوّبت والدة الإله مؤديّة لها الشكر جهاراً وقائلةً للرب «طوبى للبطن الذي حملك وللثديّين اللذين رضعتهما» (لو ١١:٢٧).

ونحن الحائزون على أقوال الحياة مكتوبةً أمامنا، ومعها العجائب والآلام، وإقامة جنسنا من الأموات، وإصعادها إلى السماء، والحياة الأبدية الموعود بها، والخلاص المنتظر، كيف لا نواصل التسبيح والتطويب الآن لمن ولدت معطي الخلاص ومانح الحياة، عند الحبل بها وعند ولادتها وعند دخولها إلى الأقداس؟

إذاً فلننقل أيها الإخوة أنفسنا نحن أيضاً من الأرض إلى السماء، ومن الجسديات إلى الروحيات. لننقل شوقنا من العابرات إلى الباقيات، ولنزدرِ بالملذات الجسدية التي تطعن بالنفس وتعبر بسرعة. فلنشتهِ الهبات الروحية التي تبقى بلا فساد، ولنرفع ذهننا من الصَخب مرتقين به إلى السموات، إلى قدس الأقداس حيث تسكن والدة الإله.

القديس غريغوريوس بالاماس

في النهاية، يمكننا الشعور بجوّ العيد بالطرق التي نريدها، إلاّ أنّ هناك طرقاً تجعلنا نشعر بالعيد طوال أيام حياتنا، وهي الطرق التي تؤدّي بنا نحو الله، وكل ما عدا ذلك يمنحنا سعادة وقتيّة تنتهي مع انتهاء مفعول الطعام أو الشراب أو أيّ متعة أخرى.

المسيحي والحياة الأبدية

يجب على المسيحي لكي يرث الحياة الأبدية أن:

+ يتجنّب الشراهة والسكر ونقض اليمين والثرثرة الباطلة والحسد والنزاعات والشر والغرور والربح الفاحش والغضب والبغاء والزنى والفجور بشكل عام.

+ لا يكون له علاقة مع السحر ولا يستعمل وسائله ولا يلجأ أبداً إلى السَحَرَة والمبرّجين والمنجمين، ويحفظ نفسه طاهرة لكي يتناول جسد المسيح ودمه باستحقاق.

+ يساعد الأيتام والأرامل والغرباء، ولا يبخل بمساعدته على مَن يحتاجها، ويعطي أموالاً من دون فائدة لمن يطلبها، لأنّ كلّ ما يملكه هو من الله وإلى الله يعود.

+ يحزن على أعداء الإيمان العميان نفسيًّا، ويجاهد بكل قواه لإنارتهم، ويبتعد عن الذين يصرّون على عماهم.

+ يبقى على الدوام صالحاً وورعاً وطاهراً ومنشغلاً بالله، ويتوجّه في كلّ عمل له بذكر الله وإرادته وفقاً للمزمور: «جعلتُ الرب أمامي في كل حين» (مز ١٥: ٨).

+ لا يحمل ضغينة في نفسه بل يسامح فوراً مَن يخطئ إليه، لأنّ الرب قال: «إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي» (مت ٦: ١٤).

+ يحكم ببرّ الله وخوفه، ولا يلوم قريبه ولا يحتقره ولا يهينه لأجل خطاياه، لأنّ الرب قال: «لا تدينوا لكي لا تُدانوا» (مت ٧: ١).

+ يُعَقّل القريب بمحبَّة ويدافع عن المظلوم ويحمي الضعيف ويساعد الكسيح وينصح الضال.

+ يحب قراءة الكتب الروحية وسماع الكلام الإلهي والأحاديث المفيدة للنفس.

+ يكرّم أهله ولا يسيء إليهم بالكلام أبداً.

+ يشارك في الخِدَم الإلهية التي تقام في الكنيسة، ولا يشكّ بالعجائب التي يجترحها الله في كل عصر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٠ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

يلي صلاة الغروب افتتاح معرض للكتب والأيقونات والأشغال اليدوية والمونة. يستمر المعرض لمدة عشرة أيام.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb